

بحثاً عن صيغة جديدة للبنان



باختصار شديد، إن لبنان يعاني من العزلة. لا يكسر طوق العزلة سوى "الحيداء" الذي لا يعني بأي شكل التخلي عن المواقف العربية المعروفة من فلسطين والفلسطينيين.

السؤال في غاية البساطة: هل يريد لبنان فك عزله أم البقاء في هذه العزلة؟ هناك فارق كبير بين من يريد مساعدة لبنان ومن هو حاقق على لبنان، أي على قصة نجاح باتت تنتمي إلى الماضي قاومت ثقافة الموت طويلاً.

في السنة 2020، لم يبق سوى "الحيداء" وسيلة لممارسة المقاومة في وجه الحاققين على لبنان والراغبين في جعله ورقة إيرانية من أجل صفقة تحل بها طهران مع "الشيطان الأكبر" و"الشيطان الأصغر" في يوم من الأيام.

شكوى أوروبية وأميركية دائمة. لم تعد أميركا مهتمة بما يحل بلبنان. صار انعدام الاهتمام بلبنان، بمسيحيه ومسلميه، بل بمسيحيه قبل مسلميه، سياسة أميركية وليس سياسة خاصة بإدارة دونالد ترامب. فضلاً عن ذلك، يصعب على من يمتلك حداً أدنى من المعرفة بما يدور في العالم، تجاهل التحولات التي تشهدها أوروبا في مجال العلاقة مع "حزب الله". تبدو فرنسا في الطريق إلى اتخاذ موقف متشدد من الحزب، على غرار ما فعلته ألمانيا وبريطانيا أخيراً. كان الموقف الأخير لبرلين منعتفاً مهماً، خصوصاً مع الحملة على مناصري الحزب وجمعياته في ألمانيا، وهي حملة تراكمت مع اعتبار الحزب "منظمة إرهابية"!

من الوصاية الإيرانية - السورية، إلى الوصاية الإيرانية المباشرة. من المفترض أن يعني "حزب الله"، هذا الأمر في حال لديه أي هامش للمناورة يسمح له بأخذ مصالح اللبنانيين جميعاً في الاعتبار، بما في ذلك مصالح الطائفة الشيعية. فتنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الأمن شرط من شروط إنقاذ لبنان. ولكن يبقى السؤال هل يريد "حزب الله" إنقاذ لبنان أم كل ما يريده أن يكون البلد "ساحة" لإيران؟

هناك فارق كبير بين "الحيداء" والحقق على لبنان. يسمح "الحيداء" بإعادة مذ الجسور مع العالم. مع العرب ومع أوروبا ومع أميركا. لا يمكن للبنان البقاء قاعدة معادية لكل ما هو عربي في المنطقة. لا يمكن للبنان أن يكون موضع

وقيام دولة قادرة. أكثر من ذلك، شدد على وجود دولة قوية وجيش قوي. بكلام أوضح، هناك دعوة إلى "فك أسر" الشرعية اللبنانية وتنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بلبنان، في مقدمتها القرارات 1559 و1680 و1701. عندما يتحدث رئيس الجمهورية ميشال عون عن التزام لبنان بالقرار 1701، هل يعني أن القرارات الدولية الأخرى، بما في ذلك القرار 1559، وردت في مقدمة نص القرار 1701؟

شكا "حزب الله" دائماً من القرار 1559 الذي صدر في أيلول - سبتمبر 2004. في الوقت ذاته، اعتبر النظام السوري في البداية أنه "غير معني به"، إلى أن اضطر إلى الانسحاب عسكرياً من لبنان مع ما يعنيه ذلك من انتقال للبلد

الواقع بدل اللجوء إلى أعذار تعجيزية من النوع المضحك المبكي لتبرير رفض "الحيداء". من بين هذه الأعذار الحاجة إلى "إجماع وطني" كي يتحقق "الحيداء". كانت تلك الرسالة التي حملها جبران باسيل رئيس "التيار الوطني الحر" إلى المطريرك الراعي، وهي في الواقع رسالة من "حزب الله" الذي لا يزال باسيل يعتقد أنه سيجعل منه رئيساً للجمهورية في السنة 2022... أو ربما قبل ذلك!

المسألة بكل بساطة مسألة حيداء أو لا حيداء. مسألة أن يكون لبنان أو لا يكون. هذا ما على المحك. ما طرحه المطريرك إذا كان لا يزال هناك ما يمكن إنقاذه في بلد تعرض لمجموعة من الانهيارات. انهيار النظام المصرفي وانهيار الجامعة وانهيار المدرسة وانهيار المستشفى... وانهيار القطاع الفندقي وكل ما له علاقة بالسياحة. انهيار الصحافة ودور النشر في لبنان. بكلمتين. انهيار بيروت. لم يكن ينقص سوى الكارثة الأخيرة. انهيار بيروت بكل ما تمثله. هل يمكن الكلام عن بقاء شيء من لبنان؟

بالطبع، سيكون ممكناً الكلام مجدداً عن لبنان في حال توفر له الحيداء كدولة قادرة على استعادة دورها من خلال عهد جديد لا علاقة له بـ"عهد حزب الله" ومن خلال حكومة مختلفة كلياً، شكلاً ومضموناً، عن "حكومة حزب الله".

وحده الحيداء يستطيع إعادة الثقة بلبنان وإعادة تركيبه على أسس مختلفة. يكون ذلك باستعادة لبنان لعلاقاته العربية والدولية بدل أن يكون مجرد جرم يدور في الفلك الإيراني. من هذا المنطلق، تبدو دعوة المطريرك الراعي إلى "الحيداء" جزءاً من مشروع متكامل يمتلك ركائز عدة.

لم يتحدث رأس الكنيسة المارونية عن التزام لبنان بالقرار 1701، هل يعني أن القرارات الدولية الأخرى، بما في ذلك القرار 1559، وردت في مقدمة نص القرار 1701؟

شكا "حزب الله" دائماً من القرار 1559 الذي صدر في أيلول - سبتمبر 2004. في الوقت ذاته، اعتبر النظام السوري في البداية أنه "غير معني به"، إلى أن اضطر إلى الانسحاب عسكرياً من لبنان مع ما يعنيه ذلك من انتقال للبلد

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

كشفت الكارثة التي حلت ببيروت أنه لم يبق أمام لبنان سوى "الحيداء". كذلك كشفت حاجة البلد إلى صيغة جديدة يقوم عليها في حال كان مطلوباً بقاءه على قيد الحياة. صيغة بعيدة كل البعد عن صيغة الدويلة، أي دويلة "حزب الله" التي تتحكم بالدولة اللبنانية بما في ذلك ميناء بيروت. لا وجود لبديل من الحيداء، سوى الخراب والدخول في مزيد من المغامرات التي تهدد وجود البلد. هذا ما أظهرته تجربة لبنانية عمرها 51 عاماً، أي منذ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم في العام 1969... وصولاً إلى ما حل ببيروت في الرابع من آب - أغسطس 2020.

لعل الكارثة تكون مدخلاً إلى الصيغة الجديدة التي لا يمكن إلا أن تبدأ بـ"الحيداء" وخروج ميشال عون من قصر بعيداً ورحيل حسان دياب وحكومته، "حكومة حزب الله".

ثمة من يحاول تجاهل التجربة المرة التي يعيشها لبنان منذ ما يزيد على نصف قرن عن طريق الشعارات الطنانة، من نوع "المقاومة" و"المانعة" من جهة والهرب من الواقع من جهة أخرى. لا تطعم الشعارات خبزاً ولا تعيد أموال المودعين في المصارف، لئلا يفسد الشد.

لا يمكن حماية لبنان بالهرب من الواقع المتمثل في أن لبنان أخطأ بحق ذاته وأن اللبنانيين لم يعرفوا يوماً أن ما افتقدوه، بسبب ما اقتفوه بحق أنفسهم أولاً، ما افتقدوه لن يستعيدونه في يوم من الأيام. لم تكن دعوة المطريرك الراعي إلى "الحيداء" محاولة أخيرة لجعل اللبنانيين يتصالحون مع



لبنان.. مؤشر سياسي لفاعلية المجتمع الدولي

صحيحة إلى انعكاسات سلبية تتجاوز حدود لبنان، ويفضي النجاح إلى تقديم نموذج قابل للتعايش والحياة في المنطقة، هو نموذج مصغر لما يمكن أن تصبح عليه بعض الأزمات الإقليمية الساخنة في حالي الفشل والنجاح.

أفضت هذه الحالة إلى صعوبة السيطرة على الصراعات، وأغرقت بعض القوى الإقليمية، تركيا وإيران مثلاً، على الاستفادة من اللحظة الراهنة في تكريس نفوذها من خلال التدخل في أزمات بعيدة عنها، واستثمرت التباعد الحاصل في مواقف قوى كبرى في مذبذبها ما هو أبعد من طموحاتها. تحول لبنان إلى إحدى ضحايا التوجهات القائمة، ودفع ثمنها باهظاً، ومرجع أن يدفع أثماناً أخرى أشد تكلفاً، ما لم تعيد القوى الفاعلة في المجتمع الدولي النظر في ممارساتها التي أدخلت دولة مثل لبنان، تعتمد على موازنات سياسية معقدة، في أتون أزمة لم تستطع كل الجهود الوطنية فك شفراتها على مدار الأعوام الماضية.

قد يكون انفجار بيروت ضاراً على مستويات إنسانية واقتصادية واجتماعية، لكن غير مستبعد أن يبعث برسالة استفقاة للمجتمع الدولي الذي انصرف عن لبنان وغيره من الدول التي تعجّ بازيمات متفاقمة، تعاملت معها بعض الدول بطريقة قاصرة، وانصبت الكثير من التصرفات في تبادلات وتوافقات قصيرة المدى، لمنع حدوث مفاجات تؤثر على الأوضاع التي جرى الاستقرار عليها ضمناً.

تحتاج بعض الأزمات إلى وقوع زلازل سياسية أو أمنية كبيرة كي تتبدل أحوالها، وتصل إلى درجة الغليان لتخرج من حالتها المراوغة، وربما يكون انفجار بيروت محرّضاً قوياً على إنقاذ رمانة ميزان المنطقة قبل أن تشهد المزيد من التهاوي، فالحدث ضخم وكفيل بتغيير ممارسات حالية، ووقف التراخي والتقاعد والصمت الدولي الذي لعب دوراً في أن يتحول لبنان من دولة لامعة إلى فاشلة إقليمية.

وضع انفجار بيروت العالم أمام مسؤولية أخلاقية وسياسية، وسوف يؤدي الإخفاق في مداواتها بطريقة

تحركات بعض القوى في لجم الحزب، وثمة من وظّفها لصالح ترويض لبنان برمته، وجاءت الكثافة النادرة في التوترات الإقليمية وما صاحبها من عجز دولي في التعامل معها وعدم القدرة على ضبط إيقاعها، لتضاعف من مكانة الحزب، وتصيبه بالتضخم المادي والمعنوي.

لم تعد أذرع حزب الله السياسية والعسكرية قاصرة على لبنان وتحكمه في تعيين وإقالة رؤساء الحكومات، أو علاقته مع إيران وأصبحت مكشوفة أكثر من أي وقت مضى، بل عبرت الحدود، وامتدت إلى سوريا واليمن والعراق، ما أخلّ بتوازنات مختلفة في المنطقة، لأن التمدد ترافق مع انخفاض منسوب تأثير قوى كبرى في الأحداث المتلاحقة التي تمر بها المنطقة.

جاء حادث بيروت وسط أجواء غائمة، وحافلة بالأحداث داخل لبنان وفي دول الجوار، كذلك في أدوار القوى الكبرى التي أسهمت دوماً في منع انهيار أحجار الدومينو، الأمر الذي جعل تداعيات الحادث مفتوحة على احتمالات متباينة، ويصعب تحديد المسار الذي يمكن أن تسلكه.

أضحت العيون والأذان مصوبة ناحية حزب الله، ومنتظرة تلمس الخطوات السياسية، ومعرفة آليات التعامل معه بموجب التطور المفصلي، فقد أصبح الحزب منذ فترة قوة فوق القوة، وفشلت محاولات تقويضه، سلماً أو قهراً، حيث وضع مستقبله في كفة، ومستقبل الدولة اللبنانية في الكفة المقابلة. حجّمت هذه المعادلة الثقيلة من

تزامن التخلي عن هذه الأدوار، طواعية أو قسراً، مع تخلّ آخر يتعلق بتراجع انخراط المجتمع الدولي في الأزمات المشتعلة بالمنطقة، فقد ترك لبنان يرقق في مشكلات اقتصادية وأمنية واسعة ولم تهب دول قريبة منه لتجذته، وبدا البعض مستمعا بتجاهلاته السياسية، ولم يعجا هؤلاء بالبصير المجهول الذي يواجهه.

إذا كان حادث اغتيال الحريري مقدمة لتغيرات في البيئة الإقليمية، لجهة تفكيك وتركيب جزء كبير من الارتباطات بين سوريا ولبنان، فمن الممكن أن يصبح انفجار بيروت مقدمة لتغيرات في خارطة السياسية، خاصة في حالة ثبوت تورط حزب الله فيه، لزاوية تقليم أظافر الحزب، أو فتح المجال أمام المزيد من الفوضى.

تبدو المسافة بين اغتيال رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان منذ خمسة عشر عاماً، وبين انفجار بيروت أخيراً، واسعة في ردود الفعل الدولية، ففي الحالة الأولى انتفضت الكثير من الدول وتجاوزت كلمات التهنيد وعبارات الشجب التقليدية، وطالبت بمسألة دولية عاجلة، بينما اكتفت في الثانية بقرن من التآزر المعنوي والمساعدات الإنسانية.

تشير المقارنة بين الحادثين إلى عمق التغيير الذي لحق بوضع لبنان الإقليمي، وتأثره الدقيق بما يجري في المنطقة دون التورط رسمياً في أي من الصراعات الحادة، لكن تقف بعض القوى الفاعلة في خارطته السياسية والأمنية في قلبها أو على هامش فيها، ما جعل الارتدادات عنيفة أحياناً في الداخل.

وتؤكد أيضاً أن هناك تاكلاً في دور القوى الكبرى، فمن الانخراط الكبير في تفاصيل اغتيال الحريري واتخاذها وسيلة لتصفية المزيد من الحسابات مع سوريا، إلى التمثل في توجيه اتهامات حاسمة إلى الجهة المسؤولة عن حادث مرفأ بيروت بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو التلويح بعقاب حاسم.

كان المتفجرات التي جرى تكديسها في منطقة حيوية مجهولة أو بلا صاحب، فقد طغت عبارات الألم والمواساة على الرغبة في توقيع العقاب سريعاً، ما يعني أن هناك تحولاً في مكانة لبنان الإقليمية، وتغيراً في النظرة الدولية إليه، وبعد أن كان يؤخذ كضابط إيقاع لبعض التوازنات، ومؤشراً لمعرفة مسار الكثير من التصورات، بات مفتقداً لهذا النوع من المزايا، والتي وضعته في مرحلة سابقة داخل بؤرة تصرفات وسياسات مهمة شهدتها المنطقة.

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

تبدو المسافة بين اغتيال رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان منذ خمسة عشر عاماً، وبين انفجار بيروت أخيراً، واسعة في ردود الفعل الدولية، ففي الحالة الأولى انتفضت الكثير من الدول وتجاوزت كلمات التهنيد وعبارات الشجب التقليدية، وطالبت بمسألة دولية عاجلة، بينما اكتفت في الثانية بقرن من التآزر المعنوي والمساعدات الإنسانية.

تشير المقارنة بين الحادثين إلى عمق التغيير الذي لحق بوضع لبنان الإقليمي، وتأثره الدقيق بما يجري في المنطقة دون التورط رسمياً في أي من الصراعات الحادة، لكن تقف بعض القوى الفاعلة في خارطته السياسية والأمنية في قلبها أو على هامش فيها، ما جعل الارتدادات عنيفة أحياناً في الداخل.

وتؤكد أيضاً أن هناك تاكلاً في دور القوى الكبرى، فمن الانخراط الكبير في تفاصيل اغتيال الحريري واتخاذها وسيلة لتصفية المزيد من الحسابات مع سوريا، إلى التمثل في توجيه اتهامات حاسمة إلى الجهة المسؤولة عن حادث مرفأ بيروت بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو التلويح بعقاب حاسم.

كان المتفجرات التي جرى تكديسها في منطقة حيوية مجهولة أو بلا صاحب، فقد طغت عبارات الألم والمواساة على الرغبة في توقيع العقاب سريعاً، ما يعني أن هناك تحولاً في مكانة لبنان الإقليمية، وتغيراً في النظرة الدولية إليه، وبعد أن كان يؤخذ كضابط إيقاع لبعض التوازنات، ومؤشراً لمعرفة مسار الكثير من التصورات، بات مفتقداً لهذا النوع من المزايا، والتي وضعته في مرحلة سابقة داخل بؤرة تصرفات وسياسات مهمة شهدتها المنطقة.

